

أجرى المقابلة: بلال ضاهر

رئيس قسم التاريخ العام في جامعة تل أبيب

البروفسور غادي إغازي: الانسحابات التكتيكية من غزة وجنوب لبنان لم تضعف اليمين الإسرائيلي!

ذلك دلّت على أن شارون اتبع في خطوته هذه مبدأ "خطوة إلى الوراء من أجل التقدم خطوات إلى الأمام"، وفقاً لرؤيته. فقد تقدم مشروع شارون الأساسي، وهو الاستيطان، خطوات إلى الأمام بعد فك الارتباط، ناهيك عن حصوله على ضمانات أميركية بضم الكتل الاستيطانية في الضفة الغربية إلى إسرائيل في أي اتفاق مستقبلي يتم التوصل إليه مع الفلسطينيين.

ويؤكد المشهد السياسي الحالي في إسرائيل، بعد مرور عام وثلاثة شهور تقريبا على تشكيل حكومة اليمين برئاسة بنيامين نتنياهو، على أن اليمين ليس أنه لم ينته وحسب، وإنما أيضاً لم يتنازل الإسرائيليون بعد عن فكرة "أرض إسرائيل الكاملة". ولعل ما يثبت ذلك رفض نتياهو الإعلان عن تجميد الاستيطان، حتى بضمن إساءة العلاقات مع الولايات المتحدة. كما أن نتياهو

* لا أحد يمكنه أن يقنعني أن باراك أكثر يسارية من ليفني أو نتياهو* أحد الأمور المستجدة في إسرائيل خلال الأعوام الأخيرة: المزج بين مشاريع أيديولوجية وبين مبالغ مالية خارجية كبيرة*

عندما أعلن رئيس الحكومة الإسرائيلية الأسبق، أريئيل شارون، عن خطة فك الارتباط عن قطاع غزة (والتي نُفِذت في العام ٢٠٠٥)، كان هناك من تحدث عن نهاية اليمين الإسرائيلي أو عن نهاية فكرة "أرض إسرائيل الكاملة"، المرتبطين ببعضهما البعض من الناحية السياسية في إسرائيل. لكن التطورات التي أعقبت



نتنياهو وظلّه ... باراك

خلال فترة فك الارتباط . ثالثاً، اعتقدنا أن الحديث يدور على سجن [في قطاع غزة] يتيح لإسرائيل عدم تحمل المسؤولية عن السكان الخاضعين للاحتلال، وإعطاء المفاتيح للأسرى كي يتعاركوا على الطعام ظهراً ومساءً . والسبب الأخير لمعارضتنا فك الارتباط هو أن الانسحاب الإسرائيلي من لبنان أيضاً جاء على حساب اتفاق سلام وانسحاب من الأراضي السورية، وجلب علينا كارثة كبيرة .

"لهذا فإنني لم أكتب مرثية اليمين الإسرائيلي أبداً بسبب انسحابات تكتيكية . بل على العكس، أنا اعتقد أن شارون هو السياسي الإسرائيلي الأهم بعد مؤسس إسرائيل ورئيس حكومتها الأول دافيد بن غوريون، وأنه تم الاستخفاف بأريئيل شارون في اليمين على مدار عشرات السنين، وهذا خطأ . وقسم من أسباب الاستخفاف مفهومة، لأنه يوجد اثنان أريئيل شارون على الأقل . الأول هو الجنرال المتعجرف، الذي أراد دائماً أن يتلع وتورط . وكانت ورطته الكبرى في لبنان في العام ١٩٨٢ . لكن يوجد شارون رقم اثنين، وهو الممثل الأكثر إخلاصاً للحركة الصهيونية والذي أدرك أن ما يحدد الأمور في واقع كولونيالي ليس الأقوال ولا التصريحات وإنما الأرض، الماء، الاستيطان، الشوارع والأسوار . إنه شارون الذي جعلنا نعيش، حتى وهو يرقد في سريريه [غائباً عن الوعي]، في الواقع السياسي الذي صممه . إنه شارون الذي بدأ الاستيطان

وحكومته يرفضان إجراء المفاوضات مع الفلسطينيين، أو يعرقلان استئنافها، في أفضل الأحوال . ورغم ذلك فإن استطلاعات الرأي تظهر أن نتنياهو ما زال يتمتع بشعبية بين الإسرائيليين . وحتى أن شعبيته تزايدت، مؤخراً، في أعقاب العدوان على أسطول الحرية لكسر الحصار على غزة .

كان اليمين الإسرائيلي في الماضي يدعم أي عدوان تشنه حكومة حزب العمل، بينما كان حزب العمل ومعه اليسار الصهيوني ينظمان مظاهرات عملاقة ضد عدوان أو حرب تشنها حكومات الليكود اليمينية، مثل مظاهرة الأربعمائة ألف في أعقاب مجزرة صبرا وشاتيلا، التي طالبت بالانسحاب من لبنان . لكن في السنوات الأخيرة تغيّر هذا الوضع بصورة متطرفة . ولم نعد نشهد مظاهرات كبيرة . حتى أن المظاهرات التي جرت ضد حرب لبنان الثانية والحرب على غزة والعدوان على أسطول الحرية، لم يشارك في أكبرها أكثر من ٢٠ ألفاً، كان بينهم قسم كبير من العرب واليساريين غير الصهيونيين ونشطاء حركات السلام ومؤيدي حزب ميرتس . وقد غاب عن هذه الاحتجاجات أعضاء ومؤيدو ما يعرف بأحزاب الوسطية السياسية، مثل العمل أو حتى كادما . ويظهر واضحاً نزوح الإسرائيليين نحو يمين الخارطة السياسية، ومعهم الغالبية الساحقة من أحزابهم . وليس هذا وحسب، وإنما أيضاً غاب عن النقاش في إسرائيل في الشهور الأخيرة الحديث عن المفاوضات أو العملية السياسية وما إلى ذلك .

وأجرت "قضايا إسرائيلية" مقابلة مع الناشط السياسي اليساري ورئيس قسم التاريخ العام في جامعة تل أبيب، البروفسور غادي إلغازي، وهو أحد أوائل رافضي الخدمة العسكرية في الأراضي المحتلة لأسباب ضميرية في مطلع سنوات الثمانين . كما أنه مؤسس حركة "تعايش" اليهودية - العربية في أعقاب هبة أكتوبر في العام ٢٠٠٠، وحركة "ترابط" .

وقال إلغازي "أنا أنتمي إلى الأقلية التي اعتقدت في العام ٢٠٠٤ أنه ينبغي على اليسار غير الصهيوني والأحزاب العربية التصويت ضد القرار الخاص بفك الارتباط (مع غزة) . وقد كان هذا موقفنا في حركة 'تعايش' في تلك الفترة، وذلك لعدة أسباب . أولاً، اعتقدنا، واعتقد آخرون أيضاً، أن هذا يمنح شارون مظلة سياسية، ستساعده على تعميق خطته حيال الضفة الغربية وقطاع غزة . ثانياً، كنا نتجول في التلال في الضفة الغربية ونشاهد بدايات أعمال بناء لـ ١٢ ألف وحدة سكنية في المستوطنات

العلمانية على الدين لكنها أرادت استخدام الأساطير الدينية من أجل المشروع الاستيطاني . وانتقام التاريخ هو أنه عندما احتل الصهاينة العلمانيون الأماكن المقدسة أصبح العامل الديني أقوى من السابق وغير توازن القوى داخل الحركة الصهيونية . حتى ذلك الوقت اعتقد العلمانيون أنهم على ظهور الخيل . لكن بالنسبة لموشيه دايان ، مثلا ، كانت هذه الأماكن مكتشفات أثرية . وكانت القدس بالنسبة لبن غوريون رمزا ، لكنه قال 'إني لست واثقا من أنه يجب احتلالها . فقد أردت أن أؤسس هنا دولة جديدة' . وبالنسبة لبنحاس ساير [من آباء الحركة الصهيونية] كان النفط في سيناء أهم . لكن عندما استأنفوا التوسع في العام ١٩٦٧ ، وهو احتلال جديد ، واستأنفوا من خلاله التوسع الذي توقف في العام ١٩٤٩ ، وفشلوا في استئنافه في العام ١٩٥٦ ، خرج المارد من القمقم . وكانت النتيجة هي أن الصهيونية الدينية المسيانية شعرت الآن أنها هي الصهيونية الحقيقية ، وأنها ستواصل التوسع والاستيطان ، ومنذ العام ١٩٧٤ - ١٩٧٥ قاد هذا التيار المشروع الاستيطاني الكبير .

وبعد السيطرة على المشروع الاستيطاني كانت الخطوة التالية هي السيطرة على الجيش . واليوم هم في الطريق ليصبحوا القوة الأساسية داخل الجيش . فقبل العام ١٩٦٧ لم يكن هناك ضباط برتبة لواء وعميد يضعون قلنسوة [الطاقية الدينية] على رؤوسهم . أما اليوم فكل ضابط ألقني معه في الضفة يضع قلنسوة . والضباط الكبار ، برتبة لواء أو عميد أو عقيد ، يأتون من هذه المجموعة . إضافة إلى ذلك فإن لدى المستوطنين أسلحة ولديهم مجموعات تشبه الميليشيات بمصادقة السلطات . وهكذا فإن مشروعهم مزدوج . أولا ، هو مشروع موجه إلى أرض إسرائيل التاريخية . وهذا لا يعني حتى نهر الأردن ، وإنما يشمل الأردن ، ولا مكان للفلسطينيين فيه . ولا توجد حدود لهذا المشروع . وهذا ليس مشروعا يهوديا كلاسيكيا ، وإنما هو طفرة مثيرة شبيهة بالقومية الهندية ، التي تريد تدمير الوجود الإسلامي منذ مئات السنين في الهند . إن هذه مسيانية قومية جديدة . ثانيا ، التطهير العرقي . بالنسبة لهم هذا بحث ، بمعنى تحويل المجتمع اليهودي من مجتمع مختلط حيث أن قسما منه علماني . وهم يريدون تهويد المجتمع الإسرائيلي . لذلك فإنني أراهم ينشطون اليوم ليس فقط في نابلس وإنما في عكا ويافا والرملة واللد أيضا . وفي المناشير التي يوزعونها في يافا يطالبون الفتيات اليهوديات بعدم مصادقة العرب ، وفي عكا يقولون 'سوف نحرر عكا' . وهذا ليس مشروعا معاديا للعرب وحسب وإنما هو مشروع عنصري لتغيير المجتمع اليهودي .

على مشارف رفع ، عندما كان لا يزال ضابطا برتبة لواء في الجيش الإسرائيلي ، وبعد أن قمع المقاومة الفلسطينية في غزة في العام ١٩٧٠ و١٩٧١ . وهو شارون الذي وضع مخطط الاستيطان ، كوزير للإسكان في العام ١٩٧٨ . إنه المخطط الذي ما زلنا نشاهده أمامنا حتى اليوم . لقد وعد شارون بإسكان مائة ألف في المستوطنات وسخر الجميع منه . وهو شارون الذي القوا به خارج الحلبة السياسية بعد حرب لبنان ١٩٨٢ ، وعاد من الباب الخلفي كجدل للمستوطنات ، والذي بإمكانه أن يتحدث عن تحقيق تسوية ، لكنه من الناحية الفعلية يكسب الوقت من أجل مواصلة المشروع الاستيطاني والشوارع الالتفافية في الضفة .

" وإذا كان هناك خطأ كبير ، في أوروبا وأحيانا في النقاش السياسي في البلاد ، فهو الاعتقاد بأن هذا الصراع هو صراع بين دول وأن ما يحدد الأمور فيه هو التصريح والفاصلة والكلمة الأخيرة . شارون محق في هذا الصراع عندما يستخدم الدبابات والبلدوزرات . لذلك فإن هذه النظرة ، أي الاعتماد على التصريحات والأقوال ، كانت نظرة خاطئة ، مثلما أنه من الخطأ الاعتقاد بأنه إذا قال اليمين الإسرائيلي في حزب كاديم 'دولتين للشعبين' فإن هذا الشعار أصبح مقبولا . فالبلدوزرات غيرت معنى هذا الشعار . ومن يعشق الكلمات ينسى أن الدولة الفلسطينية ، عندما تقول [رئيسة حزب كديما تسيبي] ليفني دولتين للشعبين ، تعني ثلاثة أو خمسة جيوب ، ربما تكون مرتبطة فيما بينها بخيوط ومحاطة بأسوار ، وليكن لديهم علما . ومن الجهة الأخرى ، فإن هذا يعني الدفاع عن مبدأ الدولة اليهودية من أجل منع مساواة الأقلية القومية الفلسطينية داخل إسرائيل في الحقوق الاجتماعية " .

سيطرة المتطرفين

على الجيش الإسرائيلي

(*) سؤال : إن أحد أهم مركبات اليمين الإسرائيلي هو التيار الصهيوني القومي الديني . ويعارض هذا التيار بشدة انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة العام ١٩٦٧ . هل يخلو هذا التيار من رؤيا سياسية بشأن التوصل إلى سلام مع العرب عموما والفلسطينيين خصوصا ، وعمليا هو يؤيد استمرار الاحتلال أو حتى ضم الضفة الغربية إلى إسرائيل؟

إلغازي : ضم لا ، طرد نعم . إن هذا التيار المسياني هو انتقام التاريخ من الحركة الصهيونية العلمانية . فقد تمردت الحركة الصهيونية

ورئيس الحكومة]. لدينا هنا انتصار تاريخي لليمين في البلاد. ومن يبحث، من أجل الحفاظ على التفاؤل، عن يسار متخيل، أو أنه ينظف قسما من اليمين، بمعنى أنه يريد معانقة الجن بسبب خوفه من الشيطان، فإنه لن يتمكن من وضع إستراتيجية سياسية لمقاومة اليمين. فقد أصبح اليمين، الآن، يسيطر على الكتلة السياسية الهائلة في إسرائيل. وهذا اليمين يشمل 'البيت اليهودي' والليكود و'كاخ' الجديدة، وبالطبع كاديفا وأجزاء كبيرة من مخلفات حزب العمل. وإذا كان هناك نقاش بين شخصية عمير بيرتس التراجيدية وشخصية الجنرال المتهم إيهود باراك، فإن الأمر يستحق النظر فيه. لكن من الواضح أن باراك ومنتيا هو ما في القارب نفسه. ومأساة تسيبي ليفني تكمن في أنها لم تدخل الحكومة. لكن لدى امتحان التوجهات السياسية، ومثلا في قضية الدولة اليهودية، أو في مسألة السياسة الاجتماعية، فلا أحد سيقنعني بأن باراك أكثر يسارية من ليفني أو منتيا هو. بل إنه من نواح معينة هو خطير أكثر، لأنه يحصل على مظلة مؤيدة، ومن الأفضل أن العالم يعرف أن منتيا هو خطير. في كل مرة اقترب فيها شمعون بيريس [الرئيس الإسرائيلي الحالي] من الحكم، كان هناك سبب للتخوف من أنه سيحصل مسبقا على مظلة الاشتراكية الأمية، ما سيمكنه من تنفيذ ما يريد. ففي فترة أقل من عام تولى خلالها رئاسة الحكومة [١٩٩٥ - ١٩٩٦] خرق اتفاقيات أوسلو وشن العملية العسكرية 'عناقيد الغضب' في جنوب لبنان وصادق على اغتيال يحيى عياش، ما أدى إلى تصعيد الأوضاع الأمنية، إضافة إلى أهم شيء في رصيده وهو المشروع النووي. إذا كان هذا يسار فأننا، على ما يبدو، بحاجة إلى بوصلة جديدة.

تغيير قواعد

اللعبة السياسية

(*) سؤال: كيف ترى حال الكنيست، مؤخرا، مع جميع القوانين العنصرية ضد الأقلية العربية والهجمة على أعضاء الكنيست العرب؟
إلغازي: علينا أن نرى الهدف من وراء الهجمة اليمينية ضد العرب وأعضاء الكنيست العرب. فهذا ليس مجرد صراخ، وهؤلاء ليسوا مجرد مجموعة من المهوسين. وأنا أرى بـ 'قانون النكبة' أنه قانون سخيف. فلا أحد بإمكانه إرغام المواطنين الفلسطينيين على الفرخ في ذكرى النكبة. ولن يجبرهم أي قانون على ذلك. وأعتقد أن الحديث لا يدور على عنصرية عادية. لقد فاز اليمين الصارم في الانتخابات وهو يريد تغيير قواعد اللعبة. هذا هو الهدف. كانت هناك مكاسب



(*) سؤال: ما هي مصادر قوة هذا المشروع؟

إلغازي: توجد مصادر كثيرة لكن بودي الإشارة إلى مصدر واحد يوجد له مثيل في العالم. فنحن نشهد اليوم ظاهرة عالمية تتمثل في نوع من العولمة يتعلق بالطوائف الدينية. وهي طوائف دينية مرتبطة بتنظيمات اقتصادية. في المواجهات التي وقعت في الهند في العام ٢٠٠٢ كانت هناك اعتداءات دموية قتل خلالها المئات. وقال لي نشطاء محليون رافقوني إلى الأحياء التي كان يسكنها المسلمون والهنود على مدار مئات السنين، إنه عندما وقعت اعتداءات دموية كهذه، كان هناك تنظيم دولي يقوده رجال أعمال هنود يدعمون الصراع المحلي ضد المسلمين إلى جانب وجود مصالح اقتصادية. وفي البداية يتم طرد المسلمين من الحي، وبعد ذلك يشترط العقارات. أي أن هذا مزيج من المصالح الدينية - السلفية - القومية والمصالح الاقتصادية.

وإذا ما نظرنا إلى كيف يعمل المستوطنون، ومن أين يأتي المال، وإذا ما نظرنا إلى حركة حباد [إحدى الطرق الدينية الصوفية المتطرفة] وإلى [رجل الأعمال اليهودي الأميركي] رون لاودر، فإننا سنرى أنه في السياسة الإسرائيلية أيضا، وخصوصا في صفوف اليمين الديني المسياني، لدينا مزيج من مبالغ مالية دولية كبيرة ومشروع أيديولوجي. وهذا هو أحد الأمور المستجدة خلال السنوات الأخيرة.
(*) سؤال: هل اليمين الإسرائيلي يبدأ بحزب الليكود وينتهي بحركة "كاخ" الفاشية، مثلما يعتقد الكثيرون، أم أن حزب كاديفا وقسما من حزب العمل هما عمليا يمين سياسي أيضا؟

إلغازي: إنهم يمين اجتماعي أيضا. وأنا ارفض الاختيار بين [رئيس حزب العمل] إيهود باراك وبنيامين نتنيا هو [أي رئيس حزب الليكود

إن هدف اليمين، الآن، هو تحويل انتصار آني إلى تغيير عميق في قواعد اللعبة، بحيث يبقى العرب خارج اللعبة السياسية. وهم يبتون ذلك إلى الجمهور. الهدف هو ألا يكون العرب جزءاً من معادلة القوى السياسية وألا يتكرر الوضع الذي كان في فترة حكومة إسحق رابين [أي إقرار اتفاق أوسلو بأغلبية أصوات أعضاء الكنيست العرب]، وألا يتعلق القرار السياسي في إسرائيل بتأييد الأقلية العربية له. والأمر الأساس هو إخراج العرب من اللعبة السياسية. واليمين لا يريد أغلبية يهودية وحسب، وإنما يريد أيضاً إعادة تعريف الغالبية السياسية وأن تصبح أغلبية يهودية.

ليسوا معارضين، وفقاً لمنطقهم، وإنما هم خائفون. إم ترستو تسعى إلى تغيير الخريطة بحيث يصبح حيز النقاش السياسي تحت سيطرة اليمين، منذ الآن ولمدة عشرين سنة مقبلة. وهذا مشروع يوجه أحد مساهماته فقط تجاه التعبير السياسي للعرب بينما يوجه سهماً آخر لتهديد النقاش الديمقراطي وما تبقى منه في المجتمع الإسرائيلي. وممولو هذا المشروع، وهذا منشور على شبكة الانترنت، هم في الغالب أثرياء صهاينة يهود يعيشون خارج البلاد. وأنظر إلى صحيفة 'يسرائيل هيوم' [إسرائيل اليوم]، أو إلى الهجمة ضد صحيفة هآرتس، رغم أنها ليست صحيفة مؤيدة للفلسطينيين، أو الدعاوى التي يقدمونها ضد كتاب في شبكة الانترنت. وأنظر إلى الخطاب الذي ألقاه المحامي الصهيوني الأميركي ألين درشوفيتش، هنا في الجامعة. فقد دعا إلى إقالة محاضرين معارضين للصهيونية. إن هذا مشروع يميني كبير غايته تغيير قواعد اللعبة وسلب قسم كبير من الحقوق الديمقراطية في إسرائيل وتحويل التغيير السياسي في إسرائيل، في السنوات المقبلة، إلى أمر يستحيل تحقيقه.

(*) سؤال: يجري الحديث في السنوات الأخيرة عن الدولة الثنائية القومية، عن الأبرتهايد. لكن هل يتوقع حدوث نكبة جديدة، ترانسفير، طرد فلسطينيين من البلاد؟

إلغازي: هذا متعلق بنا، نحن الفلسطينيون والإسرائيليون المعارضين للحكم. وقبل كل شيء أنا أعتقد أنه لا توجد شبكة أمان دولية تضمن منع التهجير. لا أعتقد أنه توجد ضمانات دولية ضد الترانسفير والتطهير العرقي. ومن الأفضل ألا نوهم أنفسنا. وأحداث البلقان تثبت ذلك. التضامن الدولي مهم لكن المقاومة المحلية أهم. الأمر الثاني هو أنه عندما نتحدث عن خطر يحظر علينا زيادة حجمه. يجري أحياناً التحدث عن الصدمة النفسية، لكن بدلاً من اكتساب المناعة ضدها، تثير الصدمة خوفاً. وهنا، برأيي، يجب أن نكون

ديمقراطية، وللمواطنين العرب تمثيل في الكنيست، وبعض حقوق المواطن لم نحصل عليها كهدية.

إن هدف اليمين، الآن، هو تحويل انتصار آني إلى تغيير عميق في قواعد اللعبة، بحيث يبقى العرب خارج اللعبة السياسية. وهم يبتون ذلك إلى الجمهور. الهدف هو ألا يكون العرب جزءاً من معادلة القوى السياسية وألا يتكرر الوضع الذي كان في فترة حكومة إسحق رابين [أي إقرار اتفاق أوسلو بأغلبية أصوات أعضاء الكنيست العرب]، وألا يتعلق القرار السياسي في إسرائيل بتأييد الأقلية العربية له. والأمر الأساس هو إخراج العرب من اللعبة السياسية. واليمين لا يريد أغلبية يهودية وحسب، وإنما يريد أيضاً إعادة تعريف الغالبية السياسية وأن تصبح أغلبية يهودية. والدولة اليهودية أصلاً لا تمنح مكاناً مساوياً للعرب مسبقاً. والنقاش الدائر داخل الحركة الصهيونية حول دولة يهودية هو تجديد، حتى حزب مباي لم يجرؤ على التفكير فيه في سنوات الخمسين. فعندها، كان قادة مباي يعرفون أنه من أجل الحصول على شرعية دولية لدولة يهودية [في جزء من فلسطين التاريخية] كان ينبغي عليهم الاعتراف بحقوق المواطن، وقد رافق ذلك نقاشات حادة.

وثمة عامل آخر، وهو جعل المعارضة السياسية غير شرعية. وما تفعله حركة إم ترستو ليس لعبة. فهذه ليست حركة برلمانية، وهي ليست حزبا. وتنشط كهيئة يمينية غايتها تغيير قواعد اللعبة. وفيما يتعلق بموضوع حرية التعبير عن الرأي، مثلاً، تستخدم هذه الحركة محامين في محاولة لتنظيف الجامعات. وحتى أنهم أرسلوا محامياً من أجل تغيير ما يكتبون عنهم في ويكيبيديا [الموسوعة المفتوحة على شبكة الانترنت]. إن هدف إم ترستو ليس القول إنه يوجد يمين وتوجد معارضة، وإنما القول إن قسماً من المعارضة ليس شرعياً. وطلاب الجامعات والمحاضرون الذين يطرحون أفكاراً ليبرالية هم



التضييق الشامل على الفلسطينيين: ترانسفير صامت

التي كانت تعيدهم لقريتهم . وفي تشرين الأول العام ٢٠٠١ كنت منسق هذا النشاط وقد بقيت للمبيت هناك . وحضر الجنود لطرده سكان سوسيا ، لكننا أصررنا على الصمود وبعد ذلك غادر الجنود القرية . لكنهم الآن يعيشون في غيتو . وتحيط القرية من شمالها قاعدة عسكرية ومن الجنوب مستوطنة ومن الشرق شارع يحظر عليهم السفر فيه ومن الغرب هناك منطقة أمنية خاصة . إن هذه القرية أشبهت بحماية للهنود الحمر . وأعتقد أن خطر الترانسفير ما زال يتربص بها ، لكن طالما أن أهلها صامدون ولدينا القوة لمنع ذلك فإن إسرائيل ستفشل في ترحيلهم .

(*) سؤال : لكن إسرائيل طورت أساليب في هذا السياق ، مثل ما بات يعرف بـ " الترانسفير الصامت " من القدس الشرقية .

إلغازي : نحن في " تعايش " أدخلنا تعبير 'الترانسفير الصامت' أو 'الترانسفير الثقافي' في العام ٢٠٠٢ ، فيما يتعلق بخربة يانون . فقد كانت عملية ترحيل الفلسطينيين عن قريتهم تعتمد على خنقتها اقتصاديا . وهذا النوع من الترانسفير ليس موجودا في القدس فقط . لقد حاولت السلطات الإسرائيلية استغلال العامل الاقتصادي ، وخصوصا ضد الشبان ، لحضهم على مغادرة القرية . وهنا أعتقد أن واجبنا هو الإصرار على البقاء لأن خطط 'الترانسفير الصامت' موجودة في 'وثيقة كنيغ' التي تم نشرها في الماضي . [إسرائيل كنيغ

حذرين جدا . ثالثا ، منذ العام ١٩٤٨ لم تنجح إسرائيل في التسبب بنكبة أخرى . ونحن نعرف اليوم أن الخطة في العام ١٩٥٦ كانت تهدف إلى أن تشكل [مجزرة] كفر قاسم حدثا مشابها لدير ياسين . ونحن نعرف اليوم ، أيضا ، أن بن غوريون تعلم الدرس ، ومنذ العام ١٩٥٧ أو ١٩٥٨ أصبحوا يدركون أن الفلسطينيين داخل إسرائيل لن يغيبوا . ومنذ العام ١٩٥٨ تبدأ قصة جديدة . عندها بدأ انخراط العرب في الهستدروت ، وتم البدء في تعديل الحكم العسكري ، والبدء في تهويد الجليل ، وذلك بفضل أن الناس لم يهربوا وأن كفر قاسم لم تكن مأساة فقط ، وإنما كانت بطولة أيضا .

رغم ذلك فإن خطر الترانسفير ما زال قائما . وما يمكن أن يمنعه ، وأنا رأيت ذلك عن كثب في الضفة وداخل إسرائيل ، هو الصمود . هذه ليست كلمة صغيرة . وهناك مكانان في الضفة تمكنا فيهما من منع ترانسفير . وهذا أحد أكثر الأمور التي تثير مشاعري كإنسان وأعتز به . الحدث الأول وقع في خربة يانون قرب نابلس ، عندما طرد مستوطنون أهل القرية . وتمكنا كمتطوعين في حركة 'تعايش' من تمكين الأهالي من العودة إلى قريتهم . وما زالوا هناك حتى اليوم . والحدث الآخر وقع في قرية سوسيا في جنوب جبل الخليل ، الذين تم طردهم ، ليس لمرة واحدة أو اثنتين أو ثلاثة ، وإنما طردوهم أكثر سبع مرات باتجاه بلدة يطا . ولدي صورة جميلة جدا للشاحنات

إلغازي: نحن في "تعايش" أدخلنا تعبير 'الترانسفير الصامت' أو 'الترانسفير الثقافي' في العام ٢٠٠٢، فيما يتعلق بخربة يانون. فقد كانت عملية ترحيل الفلسطينيين عن قريتهم تعتمد على خنقها اقتصاديا. وهذا النوع من الترانسفير ليس موجودا في القدس فقط. لقد حاولت السلطات الإسرائيلية استغلال العامل الاقتصادي، وخصوصا ضد الشبان، لحضهم على مغادرة القرية. وهنا أعتقد أن واجبنا هو الإصرار على البقاء لأن خطط 'الترانسفير الصامت' موجودة في 'وثيقة كنيغ' التي تم نشرها في الماضي.

نفسه حرب مستديمة. وبارك توقف عن التحدث عن السلام. فمنذ العام ٢٠٠٠، أصبح يتحدث مثل شارون، وقال إنه ليس هناك من يمكن التحدث معه [في الجانب الفلسطيني]. الإسرائيليون يتحدثون عن الأمن، وهذا يعني شن عمليات عسكرية هنا وهناك، وتوجيه ضربة مرة كل بضع سنين إلى لبنان، اشتباكات مسلحة مع الفلسطينيين، عمليات تفجيرية، ضربة وضربة مضادة وعمليات عسكرية. وهذا يعني بالنسبة لإسرائيل أن لديهم تفوقا إستراتيجيا حاليا أمام الفلسطينيين وأنه ليس لديهم أي سبب يجعلهم يوافقون على تسوية تاريخية.

(* سؤال: ما الذي سيفعلونه إذن؟

إلغازي: سيستمرون في زيادة قوتهم ويأملون، على ما أعتقد، أن يقدم الجانب الآخر تنازلات. هذه حرب استنزاف. (* سؤال: لكن الإسرائيليين جربوا على جلودهم، من خلال الانتفاضة والهجمات التفجيرية مثلا، أن الفلسطينيين لن يتنازلوا عن حقوقهم.

إلغازي: أعتقد أن النخبة الإسرائيلية مستعدة لدفع هذا الثمن. إنها مستعدة لأن تقع عملية تفجيرية بين حين وآخر، تعيد عامة الشعب من اليهود إلى أذرع المؤسسة الحاكمة. فدم الناس البسطاء ليس مهما بالنسبة للحكام. ومثلما رأينا في حرب لبنان الثانية فإنهم يتحدثون باسم أمن الناس البسطاء، لكن هذا لا يعني أنهم يكثرثون بالعثالات الأحادية الوالدين أو بسكان الجليل. وهم يستخدمونهم كذريعة وليس أكثر من ذلك. وهذا ليس تهديدا وجوديا. لأن ما خبرته في العامين ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣، وهذه هي العبرة الأساسية من الانتفاضة بالنسبة للنخبة الإسرائيلية، هو أنه يوجد انتفاضة ويوجد نمو اقتصادي في إسرائيل. أنا لم أفكر، ولم يفكر أحد، أنه في العامين ٢٠٠٠ و٢٠٠١ ستنتج إسرائيل في ظل ظروف الانتفاضة في أن تتجاوز

كان مدير لواء الشمال، ذي الأغلبية العربية، في وزارة الداخلية الإسرائيلية. وتم كشف الوثيقة التي تحمل اسمه في أعقاب يوم الأرض في العام ١٩٧٦]. وهذه خطة لإبعاد الشبان والأكاديميين العرب إلى الخارج. كذلك تحدث كنيغ في وثيقته عن الملاحظات السياسية ضد أعضاء الكنيست وتوسيع سمعتهم بمساعدة جهاز الشاباك.

لا سلام ولا حرب

(* سؤال: يجمع غالبية الإسرائيليين على أن مصلحة إسرائيل تكمن في الانفصال عن الضفة الغربية وقطاع غزة وعن الفلسطينيين. رغم ذلك فإنه لا يبدو أن إسرائيل تسير في هذا الاتجاه، أي في اتجاه اتفاق سلام. وأنا أدعي أنه لا يوجد قرار إستراتيجي في إسرائيل، ليس لدى حزب الليكود ولا لدى حزب كادما أو حزب العمل، يقضي بوجوب التوصل إلى اتفاق مع الفلسطينيين، بينما لدى كادما والعمل توجد إستراتيجيا مفاوضات وحسب، لأن هذا سيحسن صورة إسرائيل. هل، برأيك، يوجد سبب آخر لعدم تطبيق إسرائيل مصلحتها، وربما هو سبب اقتصادي، أي أن الاحتلال مجرد من الناحية الاقتصادية؟

إلغازي: أعتقد أن الكلمتين 'سلام' و'حرب' غير ملائمتين للواقع الناشئ هنا. وفي العديد من الأوضاع الكولونيالية توجد حالة ثالثة هي ليست سلاما ولا حربا. ويسمي الخبراء الأميركيون مثل هذه الحالة 'قتال بقوة متدنية'. لا يوجد سلام [من جانب المحتل] مع السكان الأصليين. لأن الأصليين لن يتنازلوا [عن حقهم في أرضهم المحتلة]. والسلام الحقيقي مستحيل في هذه الحالة، لأنه يعني وقف العملية الكولونيالية، أي وقف المشروع الصهيوني. لكن لا يمكن طردهم ومحوهم. وما سيحدث هو هدوء وفي الوقت

(* سؤال : نحن عالقون إذن؟

إلغازي : إننا في خضم أزمة صعبة للغاية . أعتقد أنه من ناحية التاريخ الفلسطيني نحن في أزمة شبيهة بتلك التي كانت في العامين ١٩٣٨ - ١٩٣٩ ، بعد الضربة القوية التي نزلت بالفلسطينيين في أعقاب الثورة الكبرى . ولهذا يجري الآن الحديث والتخوف من نكبة ثانية . لكن الفلسطينيين الآن ليسوا ضعفاء مثلما كانوا في حينه .

مميزات النيو - ليبرالية الإسرائيلية

(* سؤال : إلى أي مدى تعتقد أن النظرية الاقتصادية اليمينية " النيو - ليبرالية " مطبقة في إسرائيل ، وهل هي مطبقة بصورة أوسع تحت حكم الليكود وكادما أكثر مما كان في فترة حكم حزب العمل؟

إلغازي : إن الانقلاب النيو - ليبرالي في إسرائيل بدأ خلال فترة حكومة الوحدة الوطنية في العام ١٩٨٥ . فهذه الحكومة هي التي جلبت قانون التسويات [الذي يتم إقراره في موازاة إقرار الموازنة العامة] ، ودرجت الأزمة الاقتصادية باتجاه الفقراء وما إلى ذلك .

النيو - ليبرالية تعني تفكيك القوى الاجتماعية وتحويل البشر إلى ذرات ، إلى أفراد ، من دون أن تكون لديهم قدرة على التضامن وتنظيم أنفسهم وتغيير توازن القوى الاجتماعي . ويسهل القيام بذلك في مجتمع مهاجرين ، تتوفر فيه قوى بشرية من المهاجرين ، الذين يدخلون إلى سوق العمل ، طوال الوقت ، من دون أن تكون لديهم القدرة على المعارضة . الأمر الثاني هو أنه يسهل القيام بذلك في مجتمع كولونيالي ، تُحرك الدولة فيه السكان وتوطنهم أينما تريد وكأنهم مكعبات ليغو . لذلك فإنه إذا نظرنا مثلا إلى أوروبا الغربية سنرى أن الإصلاحات النيو - ليبرالية في مجالات الصحة والتعليم اصطدمت بقوة معارضة اجتماعية . أما في إسرائيل فإن قسما من المجموعات الاجتماعية محطمة ومتفككة ولم تتمكن من الاعتراض . وعلى سبيل المثال ، فإن الإصلاحات في المجال الصحي مرت في تغيرات هائلة من دون أن يتمكن الجمهور من القيام باحتجاج حقيقي . في أوروبا كانت هناك معارضة واسعة من جانب مجتمعات محلية ونقابات مهنية . لكن الهستدروت في إسرائيل لم تكن أبدا نقابة مهنية حقيقية تمثل العاملين وإنما في غالب الوقت كانت أداة لدمج العاملين في الحركة الصهيونية .

كذلك فإن السلطة في إسرائيل هي أيضا أقوى من السلطات في دول أخرى لأنها دولة كولونيالية تسيطر على جميع الأراضي وعلى المياه وقسم كبير من رأس المال . وبكلمات بسيطة فإن السلطة في



مقاومة شعبية للإستيطان قرب رام الله

الأزمة الاقتصادية . وهذا لا يعني أنه لا يوجد في إسرائيل ٣٥٪ من الأطفال الفقراء . لكني لا أعتقد أنهم يكثرثون بذلك . فشارون اثبت أنه بالإمكان الانتصار في عملية السور الواقى العسكرية وفي الوقت نفسه استئناف النمو الاقتصادي ، وأيضا ، ألا تكون إسرائيل معزولة دوليا . وإسرائيل ليست معزولة دوليا لأسفي ، وبالنسبة للنخب هذا دليل على أنه يجب التوقف عن اللعب بشعارات كبيرة مثل السلام أو التسوية التاريخية . وإذا كانت الأمور مريحة بهذا الشكل فلماذا يتوقون عن انتهاج هذه السياسة؟ لا أحد في القيادة الإسرائيلية يفكر لعشرين أو ثلاثين سنة إلى الأمام ، وإنما يفكرون ، خصوصا في المجال الاقتصادي ، لثلاث أو خمس أو سبع سنوات إلى الأمام . وفي هذا الأمد ، وفيما الحركة الوطنية الفلسطينية موجودة في وضع صعب للغاية ، وبالإمكان تحقيق نمو اقتصادي في إسرائيل ، ولا تتعرض لضغوط دولية ، فإنه لا يوجد أي سبب يجعلهم يدون مسؤولية تاريخية . بالنسبة للنخب الاقتصادية والسياسية الإسرائيلية هذا الأمد ليس موجودا . فهم يرون أنهم متفوقون ولذلك لا يوجد سبب يجعلهم يفكرون بشكل عميق ولأمد بعيد . وهم يفكرون بأنه من الجائز أن الفلسطينيين سيصبحون أكثر ضعفا بعد عشر سنوات . ومن الجائز أن الترانسفير الصامت سيضعف الضفة الغربية أكثر . وربما سيوافق العالم على كاريكاتير دولة فلسطينية ستبدو مثل غزة ثانية . وفي هذه الأثناء يزيد الإسرائيليون قوتهم ويعتمدون على الوسائل التكنولوجية لتوفير الأمن اليومي ، على الرغم من ظهور جنرال أو مسؤول سابق في الشبابك ، بين حين وآخر ، يقول للإسرائيليين إن هذا الوضع لن يقود إلى أي مكان .

كذلك فإن السلطة في إسرائيل هي أيضا أقوى من السلطات في دول أخرى لأنها دولة كولونيالية تسيطر على جميع الأراضي وعلى المياه وقسم كبير من رأس المال. ويكلمات بسيطة فإن السلطة في إسرائيل أقوى من المجتمع، لأن الدولة هي التي أوجدت المجتمع الإسرائيلي اليهودي. والدمج بين سياسة نيو - ليبرالية فيها مجتمع ضعيف مع سلطة دولة قوية للغاية هو دمج مذهل. وهناك عامل آخر يبدو لي أنه بالغ الأهمية: إن السياسة النيو - ليبرالية في إسرائيل بعد مرحلة الخصخصة امتزجت بالاستيطان وتعميق الاحتلال في المناطق الفلسطينية.

إلغازي: صحيح. على كل حال هذا مشروع كلف استثمارات هائلة. كذلك فإن لنهب الأراضي في الضفة الغربية أهمية اقتصادية. لأنه تم توزيع هذه الأراضي على المستوطنين، وقسم منها، بالمناسبة، اشترته تنظيمات اقتصادية مثل 'شركة تطوير أرض إسرائيل'. وهذا يعني أنه توجد في المستوطنات قوى اقتصادية هائلة. لذلك فإن الاستنتاج الذي توصلت إليه يختلف قليلا عن استنتاجات قسم من اليساريين. والاستنتاج الذي توصلت إليه هو أن من يناضل في إسرائيل من أجل الحقوق الاجتماعية هو يناضل، عمليا، ضد الاحتلال. أي إذا نظرنا إلى التركيبة الاجتماعية للمستوطنين، حتى نهاية سنوات الثمانين، سنجد أن أغلبية المستوطنين كانوا من حركة 'غوش إيمونيم' [اليمنية المتطرفة]، وهم مستوطنون عقائديون مع فلسفات مطرزة على رؤوسهم. لكن منذ سنوات التسعين وحتى اليوم، فإن غالبية الزيادة الحاصلة في المستوطنات لم تأت من 'غوش إيمونيم'. لأنهم استنفدوا أنفسهم من الناحية الديمغرافية.

منذ العام ١٩٩٠ وحتى اليوم، فإن غالبية الزيادة في المستوطنات هي في مستوطنات 'عمانويل' و'أريئيل' و'بيتار عيليت' و'موديعين عيليت'. وهذه ليست مستوطنات أيديولوجية، وإنما يسكن فيها روس وحرديم وعائلات كثيرة الأولاد. وفي كل واحدة من هذه المستوطنات يسكن ما بين ٣٠ إلى ٣٥ ألف مستوطن. و'عمانويل' هي مثل مدينة بني براك [الحريدية القريبة من تل أبيب]. وهذا يعني أنه في سنوات التسعين حدث تحول اجتماعي في تركيبة سكان المستوطنات، وملاأت إسرائيل الضفة بضحايا الخصخصة والسياسة النيو - ليبرالية. وعمليا قالت إسرائيل لهؤلاء عندما كانوا يسكنون داخل الخط الأخضر: لا يوجد إسكان شعبي، لا يوجد دعم حكومي للأزواج الشابة، لا يوجد عدد كاف منروضات الأطفال. وإذا كنتم تريدون الحصول على كل هذه الأمور عليكم أن تصبحوا طعاما للدافع

إسرائيل أقوى من المجتمع، لأن الدولة هي التي أوجدت المجتمع الإسرائيلي اليهودي. والدمج بين سياسة نيو - ليبرالية فيها مجتمع ضعيف مع سلطة دولة قوية للغاية هو دمج مذهل. وهناك عامل آخر يبدو لي أنه بالغ الأهمية: إن السياسة النيو - ليبرالية في إسرائيل بعد مرحلة الخصخصة امتزجت بالاستيطان وتعميق الاحتلال في المناطق الفلسطينية. ورغم أن جميع مؤسسات السلطة في إسرائيل كانت تقول إنه لا يوجد مال لدى الدولة، فإن الدولة رصدت أموالا طائلة للتطوير الأمني وللمستوطنات. وكانت النتيجة مثيرة. فالحديث كان يدور دائما على أن الدولة ستخفض تدخلها في الاقتصاد، لكن الاقتصاد الإسرائيلي المرتبط بالهاي-تك [الصناعات التكنولوجية الرفيعة] والصناعات الأمنية أقامت الدولة من خلال منح مالية كبيرة جدا. ولأنه كان مكتوبا على ذلك شعار 'الأمن' فإنه لم يفكر أحدا ما هي قيمة هذه الأموال، إذ إن كل صناعات الهاي-تك الإسرائيلية مبنية على الصناعات الأمنية وعلى الاستثمار في حوسبة الجيش الإسرائيلي. وانتقل هذا من المجال الأمني إلى المدني في مدينة هرتسليا. وهكذا فإن دولة إسرائيل ليست نيو - ليبرالية وفقا لتعريف النظرية النيو - ليبرالية، الذي يعني أن على السوق الحرة أن تدبر أمرها بنفسها وعلى الدولة أن تخاطر بذلك. دولة إسرائيل تتدخل في المجتمع وتوزع الموارد وتأخذ موارد، مثلما تفعل دول قليلة جدا في العالم. إن هذه نيو - ليبرالية كولونيالية. وبذلك فإنها زادت قوة النخبة في هرتسليا وأصبحت نوعا من الطبقة الوسطى الدولية البالغة القوة، وفي موازاة ذلك قلصت المصاريف الاجتماعية داخل إسرائيل، وبنيت لمائتين وخمسين ألفا مشروعا استيطانيا مدعوما كله بأموال الدولة. . .

(*) سؤال: إن عدد المستوطنين يقارب نصف مليون في الضفة الغربية والقدس الشرقية.

الاحتلال . وقد نجحت إسرائيل في ذلك . ونجحت أيضا في 'غيلو' [مستوطنة في جنوب القدس الشرقية] . فسكان هذه المستوطنة جاؤوا من أحياء القدس الفقيرة ، وبواسطتهم تم تغيير تاريخ المدينة . هذا هو مشروع شارون . لقد تم دفع قسم من هؤلاء الأشخاص إلى الضفة الغربية من دون أن يكونوا صهاينة . ورئيس بلدية 'بيتار عيليت' قال في مقابلات صحافية أجريت معه في العام ٢٠٠٣ 'إننا هنا طعام للمدافع . ونحن لا نريد أن نكون أعضاء في مجلس المستوطنات' . لكنه اليوم أصبح عضوا في مجلس المستوطنات . وهذا تغيير عميق جدا ووسع القاعدة الاجتماعية لليمين الإسرائيلي ، من خلال ضم أناس إليه بعدما دفعوا ثمن السياسة النيو- ليبرالية وتم تحويلهم إلى أداة النهب للأراضي والموارد الفلسطينية [وإلى ضحاياه في الوقت نفسه . واعتقد أن النضال ضد الاحتلال يجب أن يتم من خلال طرح حياة كريمة على هؤلاء الأشخاص من دون أن يكونوا جدارا حيا للمستوطنات والصهيونية . لذلك فإن منحهم حقوقا اجتماعية حقيقية كدولة رفاه سيؤدي إلى تخفيف المستوطنات . وعليه فإن اليسار في إسرائيل الذي يريد محاربة الاستيطان وسياسة نهب الفلسطينيين عليه أن يطرح أيضا بديلا لهؤلاء الأشخاص . وهذا يعني أيضا النضال ضد الإستراتيجية الأكثر أهمية لليمين الإسرائيلي وهي التحول من حركة أيديولوجية ضيقة إلى حركة لديها قاعدة جماهيرية واسعة .

(*) سؤال : وكيف تفسر تحول الأحزاب الحريدية ، مثل شاس ، إلى معسكر اليمين ، وربما حتى إلى اليمين المتطرف؟

إلغازي : في سنوات الثمانين وبداية سنوات التسعين كان حزب شاس حزبا حداثيا . اليوم أصبح شاس في عمق المعسكر العنصري .

وإيلي يشاي [رئيس شاس ووزير الداخلية] هو مثال بارز على ذلك ، وهو يعارض أية مفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين . وعوفاديا يوسف [الزعيم الروحي لشاس] كان يتحدث عن حل الدولتين وعن التسوية ، قبل ١٥ عاما . والأمر الذي تغير هو أن الكثيرين من المصوتين المتدينين والحريديم لشاس يسكنون في المستوطنات . ومن هذه الناحية فإن شارون هو مهندس السياسة الداخلية الإسرائيلية . وقد غير شارون منذ سنوات الثمانين الخريطة السياسية ، وأزاحها نحو اليمين لأنه ركز على الاستيطان .

كذلك فإن شارون أقام نوعين من المستوطنات : مستوطنات للفقراء ، مثل 'عمانويل' و'موديعين عيليت' و'بيتار عيليت' . ومستوطنات للأغنياء وهم مؤيدون سابقون لحزب العمل ، مثل 'هار أدار' و'أورانيت' و'بيت أرييه' . أي أن شارون حول مجموعات من الفقراء والحريديم إلى مستوطنين ، من جهة ، ومن جهة أخرى أخذ الليبراليين الذين أرادوا السكن في مناطق ذات جودة حياة عالية ، وأسكنهم في مستوطنات قريبة من الخط الأخضر . وهؤلاء يقولون عندما تسألهم 'نحن لسنا مستوطنين وإنما نصوت لحزب كادما' . وما فعله شارون هو أنه حول مشروعا لليكود واليمين المتطرف إلى مشروع يحظى بتأييد شعبي . وكادما هو التعبير السياسي لقسم من أبناء الطبقة الوسطى . وبالإمكان القول إن كادما وُلد في مستوطنات مثل 'بيت أرييه' و'هار أدار' . المشكلة الآن هي أنه من الصعب إقناع هؤلاء بأن إسرائيل داخل الخط الأخضر هي بيتهم الوحيد وأنه لا يوجد أمن سوى بتفكيك المستوطنات فيما وراء هذا الخط .